قنيفي عائشة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين.

أولا أشكر المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 لذي أعطانا فرصة اللقاء في هذا اليوم وهي فرصة سعيدة لأنه توجد أخوات لم نلتق بهن منذ سنة 1959 وهذا منذ أن افترقنا أثناء حرب التحرير.

أنا الأخت قنيفي عائشة بنت سطيف وسأعطي لكم ملخصا عما قدمته مدينة سطيف من بنات مجاهدات. فمدينة سطيف كانت ولاية تقع في ملتقى الطرق، وكانت لها حدود مع ثلاث ولايات الولاية الأولى هي ولاية الأوراس، الولاية الثانية وهي الشمال القسنطيني الولاية الثالثة هي ولاية القبائل.

لقد تأثرت ولاية سطيف بالحركة الوطنية منذ القدم وخاصة منذ أحداث 8 ماي 1945 وكانت المدرسة الوطنية للممرضات قد أسستها فرنسا في مدينة سطيف، وإليكم الآن قائمة الممرضات اللواتي تخرجن من هذه المدرسة ومنهن الشهيدات اللواتي التحقن بالجبال واستشهدن وأذكر من أسماء هؤلاء الممرضات:

مسعودة خرش ومليكة قايد اللتان ذهبتا إلى منطقة القبائل واستشهدتا رحمهما الله. هناك يمينة شراد والتي مازالت على قيد الحياة وزكية خناب وهي من عائلة بوضياف ومتواجدة حاليا في الجزائر.

هناك السيدة بكوش وربيحة كميسيت وعائشة حداد التي لا تزال على قيد الحياة وتمارس مهنة أستاذة في الرسم، وهناك فاطمة الزهراء بلعجيلة وهي من مدينة قسنطينة، وكلثوم رزوق، وعائشة قنيفي المتحدثة وكل هؤلاء تخرجن من المدرسة الوطنية للممرضات.

أما الأخوات المجاهدات اللواتي تخرجن من مدرسة الفتح للتعليم الحر واللواتي كن يدرسن باللغة العربية فهن على التوالي:

-خيرة زروقي شهيدة رحمها الله

-حورية بلعيزر شهيدة رحمها الله

-خضراء بلامي التي لا تزال على قيد الحياة وهي حاضرة معنا في هذا الملتقى

- أما فايزة كغاليان وزبيدة زروق فلا تزالان على قيد الحياة ولكننا لم نستطع الاتصال بهما .

وهناك من تخرجن من إكمالية البنات"college des jeunes filles" وهن كالتالي:

-زيزة مسيكة شهيدة رحمها الله

-مريم بوعتورة شهيدة رحمها الله

-مليكة خرشي شهيدة رحمها الله

-حورية مصطفاي التي لم تسمح لها الظروف بالحضور معنا اليوم.

-فاطمة الزهراء بن سمرة حاضرة معنا اليوم

وهناك من درسن مع الأحرار كفاطمة عكوش وهي حاضرة معنا اليوم والتي كانت آنذاك صغيرة في السن، وكانت أمها تعمل عند أحد الكولون فسرقت له السلاح والتحقت بالجبل.

عائشة زادي التي عملت في الفداء في المدينة ثم التحقت بالجيش وهي لا تزال على قيد الحياة وحاليا لا تستطيع الحركة.

رماش آمنة و التي تخرجت من الولاية الثالثة وهي حاضرة معنا اليوم كانت صغيرة في السن حينما كانت تقوم بمهمة الاتصال والتموين وكانت تتنقل بين قسنطينة وسطيف للاتصال بالنظام، وقد حكم عليها بالسجن.

هذا باختصار ما أستطيع أن أقوله عن مشاركة المرأة الجزائرية في ذلك الوقت .الآن سأقدم لكم شهادة حية عن الميدان الصحي فنحن لما التحقنا بالجيش وجدنا أن تعليمنا الطبي لا يصلح تطبيقه في الميدان. وجدنا لامين خان الذي أنشأ لنا مدرسة صغيرة في الجبل وكان يعطينا دروسا خاصة في النجدة (secourisme) نظرا لعدد الجرحى الكبير وبعد فترة التدريب على النجدة قاموا بتوزيعنا على المراكز في شكل أفواج يتكون كل واحد منها من أختين إلى ثلاث أخوات حيث كنا نقوم بعلاج الجرحى والسهر على رعايتهم.على أية حال ستتدخل الأخت المختصة في الطب لتحدثكم أكثر عن هذا الموضوع.

السيدة عائشة قنيفي
(المداخلة الثانية)

لقد شرفني المنظمون لهذا الملتقى بالدعوة للحديث إليكم عن دور المرأة في ثورة التحرير، فسعدت بهذه الدعوة ولبيتها شاكرة غير أن ما قامت به المرأة في ثورة نوفمبر العظيمة أكبر من أن تتناوله محاضرة واحدة، باعتباره موضوعا واسعا وغنيا بالعبر والأحداث ولا يمكن اختصاره في محاضرة أو حديث مناسبة بل يحتاج إلى دراسات وملتقيات تكون في مستوى الحديث الذي صنعته المرأة الجزائرية.

لهذا، يتعين علينا العمل باستمرار لإبراز تضحياتها ومعاناتها الكاملة، لتبقى منارات هادية للأجيال الصاعدة يستلهمون منها المعاني الحقة للتضحية والجهاد، ويستخلصون منها عناصر الوحدة والتضامن والصمود، خاصة أمام هذه الأزمة القاتلة التي تعرفها البلاد، والتي تعصف ريحها اليوم بكل منجزات الثورة ونضال الشهداء والمجاهدين، وما بذلوه من أعمال وتضحيات في معركة التحرير والتعمير.

إن الحديث عن مشاركة المرأة في الثورة، هو إبراز للمهام التي أنجزتها بنجاح، والبطولات التي سجلتها بشكل رائع، والتضحيات التي قدمتها فبي الميدان، فغدت تضرب مثالا وقدوة لأبناء الوطن وأحرار العالم على حد سواء. والحديث هنا حديث الذكريات، وكل ذكرى تحضر معها صورالجزائر من جميلات الجزائر، وفاطمات وحسيبات وفضيلات ومريمات وزهرات الجزائر وغيرهن، أو تحضر معها صورة مجاهدة بطلة لا تزال على قيد الحياة، وتمجد استمرار تلك الرموز المشرفة للمرأة الجزائرية المجاهدة.

إن المرأة الجزائرية المجاهدة لم تكن معزولة عن الأحداث وأعمال المقاومة، بل كانت على الركن المفتوح مع التاريخ إلى جانب الرجل تسانده في كل خطوة، فشاركت باستمرار وبطرق عديدة وفي مواقع مختلفة لمقاومة الاحتلال الفرنسي إلي أن بلغت مستوى القيادة، كما تجلي ذلك في الملحمة البطولية التي قادتها لالا فاطمة نسومر ضد الجيش الفرنسي، فألحقت به هزائم نكراء، وصارت بذلك رمزا يقتدي به.

كما بادرت المرأة قبل اندلاع الثورة بإنشاء جمعية للنساء المسلمات الجزائريات، وكان هدفها الاهتمام بالمرأة، وقد ضمت في صفوفها أخوات كثيرات تركز نشاطها في إلقاء دروس ومحاضرات تدعو إلى مساندة الحركة الوطنية الجزائرية وتدعيم برامجها الداعية للحرية والاستقلال. وقد تطور نشاط المرأة السياسي قبل الثورة، حيث أصبحت تشارك بأعداد معتبرة في الاجتماعات التي كانت

تقام من حين لآخر، كاجتماع 5 أوت 1951 في سينما دنيا زاد بالجزائر العاصمة والذي دعت إليه، اللجنة النسائية في تأسيس جبهة الدفاع عن الحرية، وكان يوما مشهودا في نضال المرأة الجزائرية، وكنتيجة حتمية لتطور الأحداث السياسية على الساحة الوطنية قبيل الثورة، تطور بتوازي الوعي الوطني لدى المرأة التي رفضت أن تكون معزولة عما يجري من أحداث في وطنها، بل أصرت على المشاركة بشكل واضح ومباشر وأن تسجل وجودها عمليا في أهم حقبة من تاريخ الجزائر، فوقعت بأحرف من دمها على وثيقة الثورة التحريرية الكبرى التي انطلقت شرارتها الأولى في الفاتح نوفمبر1954 . فما أن أطل فجر الثورة، حتى اندفع الشعب الجزائري لاحتضانها والتفاعل معها، ولم تتأخر المرأة التي هي جزء من هذا الشعب عن هذا الاندفاع، بل كانت دائما في الصفوف الأولى، واندمجت فيه بسرعة ومنذ البداية عن إقناع بهذا الحدث العظيم الذي جاء ليعصف بذيل الاستعمار ويغير مجرى التاريخ لصالح الجزائر والجزائريين.

ولأن دور المرأة كان في هذا المجال على مستوى المدن، فقد اقتصر في البداية على نخبة من العناصر النسوية المتعلمة، لكنه كان بالنسبة للمناطق الريفية والجبلية التي أوت الثورة واحتضنتها منذ انطلاقها، فقد شغلت المرأة الريفية بجميع فئاتها، فكانت بمثابة الأم والأخت للمجاهدين، تستقبلهم في غياب زوجها أو أسرتها، وتزودهم بالطعام وتقوم بالحراسة لضمان سلامتهم وإعلامهم بأي تحرك و ظهور مفاجئ للعدو، وقامت بدور الدليل الذي يرشدهم ويعرفهم بمسالك وطرق التنقل عندما لا يكون دليل يتولى ذلك.

لقد أدى احتضان المرأة للثورة والمشاركة فيها بصفتها جندية أو ممرضة أو ممونة وناقلة للسلاح والأخبار السرية أو ربط اتصال بين قيادات الثورة عبر التراب الوطني إلى رد فعل قوي وسريع من طرف العدو، فقام بوضع عراقيل في طريقها، بحيث ضيق الخناق على حرية تنقلاتها وسلط عليها العقوبات كمحاولة يائسة لمنعها عن القيام بواجبها الوطني، فعذبت في هذا الإطار أبشع التعذيب، وعوملت بوحشية، وزج بها في المعتقلات والسجون، واعتدي على شرفها، وحكم عليها بالإعدام. ورغم ذلك، فقد ظلت المرأة الجزائرية تواجه بصمت وبإرادة قوية جبروت العدو وطغيانه، مصممة أكثر من أي وقت مضى على السير في الطريق الذي ارتضته رغم صعوبته وخطورته إلى غاية تحقيق النصر أو الشهادة. هكذا، وبمرور الأيام ورسوخ الثورة في قلب الشعب، التحقت بالجبال مئات الفتيات الجزائريات رغبة منهن في أداء الواجب وتقديم التضحية اللازمة لتحرير الوطن وتحرير أنفسهن في آن واحد. لقد قمن بواجبهن على أكمل وجه، ولقد أثبتت الإحصائيات على أن أكثر من 2000 مناضلة التحقت بصفوف الثورة المسلحة من سنة 56 إلي 58، وهذه أعلى نسبة انخراط هيكلي في نضال المرأة المسلحة، هذا وإن كان دور المرأة قد اقتصر في البداية على الإيواء

وتحضير الطعام للمجاهدين فقد تعداه بعد ذلك إلى المشاركة الفعالة في المعركة المسلحة، حيث كانت هناك مجندات داخل صفوف جيش التحرير كن يعملن وفقا للتقسيم الآتي:

1 – المجندات المتعلمات: وهن بنات المدن بدأن العمل في صفوف الفدائيين في المدن حيث لعبن دورا مميزا في تعزيز الثورة وتدعيمها ميدانيا، ذلك أن تحركات المرأة في البداية لم يكن يثير شبهات السلطات الاستعمارية، فكان تحركها وتدخلها في المدينة سهلا بالمقارنة بالفدائيين الرجال، لذلك استغلت الثورة هذه الثغرة، وجندت عددا لا بأس به من الفتيات الفدائيات اللواتي كن ينقلن الرسائل والسلاح والمتفجرات، وفي بعض الأحيان، كن يقمن بوضع القنابل الموقوتة في أماكن تجمع المعمرين ومحلاتهم التجارية ومنشآتهم الاقتصادية، فتلحق بهم خسائر مادية وبشرية كبيرة. وبهذا، سجلت الفدائيات الجزائريات أسماءهن في سجل البطولات الوطنية الخالدة، وإليكم واحدة من هؤلاء البطلات على سبيل المثال لا على سبيل الحصر وهي الشهيدة "فضيلة سعدان" التي دوخت ضباط المخابرات الفرنسية بكثرة نشاطها وجرأتها وفضلت أن تستشهد وسلاحها في يدها على أن تسلم نفسها لما حاصرها العدو في مدينة قسنطينة، وأمثالها كثيرات من الفدائيات والبطلات اللواتي استشهدن في ميدان الشرف بعدما أبلين البلاء الحسن في ساحة القتال، والعدو يشهد على ذلك، حيث يقول الجنرال ماسو في كتابة "معركة الجزائر": "لقد حملت المرأة الجزائرية القنابل ووضعتها في أماكن مناسبة، وأصبحت تكون مجموعة حقيقية في استخدام جمالها الفتان وبراءتها المصطنعة واستطاعت بكل سهولة أن تخترق الأوساط التي تريد أن تنجز فيها عملياتها".

2 – أما المجاهدات اللواتي التحقن بالجبال، فدرسن التمريض والتعليم والإرشاد، فالممرضة كانت تقوم بعلاج المجروحين من المجاهدين والشعب على حد سواء وكانت مسؤولة على المستشفى بما فيه المرضى والدواء، كما أنها مطالبة بالمحافظة على العتاد الطبي في حالة اكتشاف المستشفي من طرف العدو،"ومسيكة زيزة" لمثال على ذلك، إذ سعت لإنقاذ المرضى، فكلفها ذلك حياتها واستشهدت وهي تقوم بواجبها بفعل القنبلة الجوية الرهيبة. أما المرشدة، فكانت تطوف في القرى و "الدواوير" وتلقى دروسا أمام النساء والفتيات، كانت محتوياتها تدور حول الثورة الجزائرية والكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي، هذا بهدف إعلام هؤلاء النسوة وتعبئتهن للقيام بالواجب الوطني المتمثل في دعم الثورة ونصرتها وتحصينها ضد دعايات العدو. لقد نجحت هذه المرشدة حتى في تغيير نظرة الرجل للمرأة حتى أصبح يعاملها باحترام أكثر ويقدر عملها ويمجده وألغى من قاموسه عبارة"المرأة حاشاك".

3 – المجندات غير المتعلمات: ومعظمهن من سكان الأرياف والجبال حيث توجد قلاع الثورة، لقد شاركن فيها بكل حماس وإصرار، فكن الطاهيات الدليلات وناقلات الأخبار والأدوية والأسلحة، وقدمن تضحيات كثيرة، فسقطت منهن شهيدات كثيرات أثناء تأديتهن لواجبهن الوطني.

4 – المناضلات الشعبيات: هن نساء الأرياف والمدن المتعاقدات مع الثورة وجيش التحرير وجبهته اللواتي قمن تلقائيا بمساندة الثورة ودعمها ميدانيا، فمنهن من قامت بإخفاء العناصر الفدائية وقيادتها عند الضرورة وخاصة في الحالات الاستثنائية، وقد شكلن القاعدة الشعبية الواسعة التي كانت سندا معنويا كبيرا للثورة والمجاهدين.

5 –نساء في السجون الاستعمارية: أثرن إعجاب العالم بأسره بمواقفهن الصلبة والجريئة وبجهودهن الأسطوري أمام عمليات التعذيب الجهنمية، فجلبن بذلك انتباه الرأي العام العالمي لمناصرة الثورة الجزائرية بعدما عرف حقيقتها من خلال مواقفهن الثابتة ومحاكمتهن الشهيرة، وقيامهن بمظاهرات الإضراب عن الطعام لأيام عديدة احتجاجا على سوء المعاملة ليؤكدن للمستعمر إصرارهن على المضي قدما في طريق النضال والكفاح بكل الوسائل حتى النصر. كما لا يفوتني إخواني، أخواتي، أن ألتفت إلى خنسوات الجزائر. والتاريخ لا يزال يذكر منذ 14 قرنا خلت الخنساء أم أربعة شهداء، وقد جاءت بخنسوات كثيرات أمهات أربعة وخمسة وستة وحتى سبعة شهداء. كما جاءت الجزائر بأم أقبلت على خنق رضيعها لأنه كان يبكي والعدو يحاصر المكان فهل من تضحية أصدق وأروع من هذه. تحيتي لك أمي خنساء الجزائر. رغم كل هذا بقيت المرأة صامدة، عزيمتها قوية، فلا انهارت أعصابها، ولا سجلت حالة انتحار ولا استسلام للعدو.

هكذا وفضلا عن الأدوار المشرفة التي قامت بها المرأة الجزائرية على الصعيد الوطني فإنها وعلى الصعيد الدولي قامت بدور التعريف بالقضية الجزائرية والنضال المشروع الذي يخوضه الشعب الجزائري من أجل استعادة حقه المغتصب، وهذا بتعبئة الرأي العام العالمي بحقائق الوضع في الجزائر وهذا بفضل منظمة اتحاد النساء الجزائريات الذي شاركن فيه وفي المؤتمرات الجهوية والعالمية منها مؤتمر باماكو الذي انعقد في الفترة ما بين 16 –24 جانفي 1960. ولقد كانت مشاركتهن إيجابية وفعالة للغاية بحيث صادق مكتب الجامعة الديمقراطية العالمية للنساء على لائحة حول الجزائر، تضمنت النقاط التالية:

1 – يحيي المؤتمر الكفاح البطولي الذي يخوضه الشعب الجزائري من أجل تحرير وطنه.

2 – يؤيد المؤتمر مطالب الشعب والحكومة الجزائرية المؤقتة الرامية إلي التحصيل على الضمانات الضرورية لتحقيق تقرير المصير في نطاق احترام وحدة الشعب ووحدة ترابه الوطني.

3 – ينادي المؤتمر جميع الأفريقيات اللاتي يعمل رجالهن وأبناؤهن في صفوف جيش الاحتلال الفرنسي أن يبذلن مجهودهن حتى تسحب حكوماتهن مواطنيها من حرب الجزائر.

وأخيرا، فقد كان دور المرأة في حرب التحرير عظيما ورائعا، فما أعظمها ثائرة جزائرية متمسكة بهويتها الجزائرية وما أعظمها مجاهدة في سبيل تحرير الوطن، وما أجملها شهيدة ملطخة بدمائها الزكية لقد كانت العروس، فتركت للأجيال الصاعدة ملحمة خالدة، وما أصلبها تلك الأم وهي تتلقى خبر وفاة وحيدها/ (فتزغرد)، لتبعث الحماس في زملائه ولتظهر للعدو أن الثورة ما زالت قائمة وما أروعها وهي تردد في السجون نشيد" أحنا جيش التحرير ما حناش فلاقة"، ثم وهي ترد على سوستال الذي دعاها إلي خلع لحافها فخرجت في اليوم التالي جميع الجزائريات ملتحفات بما فيها الصغيرات رفضا لدعوته. كان ذلك ردا للعدو ذلك أن المرأة الجزائرية لا تخلع لحافها بدعوة من المستعمر لكنها تخلعه بإرادتها في ساحة الجهاد. وتلبس ثياب الجهاد والاستشهاد. أشكركم على حسن انتباهكم، ومعذرة على كل خطإ أو تقصير في هذه المداخلة المتواضعة، والتي أرجو أن لا تعتبروها محاضرة بالمعنى الأكاديمي بل مجرد مداخله في أول ملتقى وطني حول كفاح المرأة.

والسلام عليكم ورحمة الله